

العولمة والتحديات التعليمية الجديدة

ياسر عبد الرازق

أستاذ مشارك كلية الطب جامعة عين شمس

مجمع الأمل للصحة النفسية بالدمام

المستخلص: التعليم هو مولد التقدم العلمي والعولمة هي الانتقال السهل للمعلومات. وقد غيرت العولمة من فلسفة التعليم ومحتواه وطرقه وتقنياته. كانت فلسفة التعليم هي تجهيز الطالب بأكبر قدر من المعلومات ثم أصبحت فلسفة النوعية والمصادقية. وتهتم الجامعات اليوم بكيفية الوصول للمعلومات وبالترجى بمستويات التعلم المختلفة. ومن تأثيرات العولمة إزدياد أهمية تدريس بعض العلوم. ولم تعد المحاضرات هي الطريقة الوحيدة للتعليم فهناك العديد من الطرق الأخرى التى إزدادت أهميتها. كما اختلفت أيضاً طريقة التقييم التى تتبع مع الطلاب. ومع إنتشار العولمة إنتشرت ثقافة الجودة الشاملة حيث تهتم الجامعات برفع كفاءة المنتج التعليمي. وسيزداد التنافس بين الجامعات وسيلجأ الطلاب إلى الجامعات الأفضل تصنيفاً. وستسهل حركة العلماء من أساتذة الجامعات وإن لم يواكب هذه العولمة الإصلاحات اللازمة ستصبح جامعاتنا طاردة للكفاءات فيجب على نظامنا التخلص من البيروقراطية ومنح العلماء الموارد اللازمة لتحقيق إبداعاتهم.

مقدمة

التعليم العالي هو مولد التقدم العلمي للأمم فكل الدول المتقدمة تقدمت من خلال طفرة نمو غير عادية في التعليم العالي في مجالات الحياة المختلفة مثل الكيمياء والفيزياء والكهرباء والهندسة والعلوم الإلكترونية والطاقة والحاسبات الآليه وغيرها وعلى رأس هذه الدول تأتي الصين والهند أقوى إقتصادات العالم نمواً و تكاثراً. ومن هنا يأتي أهمية الإهتمام بالتعليم العالي في بلادنا الحبيبة. لقد أصبح اليوم ممكناً أن تأخذ إفطارك في طوكيو وتأخذ غداءك في لندن والعشاء في لوس أنجلوس. بإمكان أي شخص أن يتناول وجبة هندية في أمريكا أو وجبة إيطالية في الرياض أو وجبة صينية في لندن. لقد تخطى عدد المسافرين من بلد لآخر حاجز الثلاث ملايين مسافر يومياً ولقد تخطى عدد المكالمات الدولية حاجز ١٠٠ مليار مكالمة يومياً. العولمة هي إنهار الحدود بين البلاد وبعضها والانتقال السهل لكل شيء فوق هذه الحدود المنهارة وكل شيء يعني إنتقال للعادات والتقاليد والعلوم والهوايات والثقافة والسلوكيات. كل شيء أصبح سهل الإنتقال وكل شيء يعنى الأشياء الإيجابية والسلبية. العولمة هي الحركة الحرة لكل شيء بدايةً من الكلمات ومروراً بالناس ونهايةً بالعادات والتقاليد. العولمة هي إهتزاز العالم كله بكل ما فيه. ومن خلال العولمة إنكش العالم بكل قاراته إلى قرية كونية صغيرة ما يحدث في أقصى الشمال يصل في لحظة حدوثه لأقصى جنوب القرية. ولقد فقدت الدول والحكومات عملية التحكم في هذا الإنتقال السريع للمعلومات. وحتى نعيش في جو هذه القرية وظروفها العامة فلننظر إلى الإحصائية التي ذكرها الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة في المحاضرة الإفتاحية لإجتماع الجمعية العالمية للطب النفسى في عام ٢٠٠٥م فإذا كان عدد سكان هذه القرية ١٠٠ شخص وبالتالي فس يكون بهم ٥٧ آسيوى و ٢١ أوروبى و ٨ أفارقة و ٦ أمريكيين و ٤٨ رجل و ٥٢ من النساء و ٣٠ من الجنس الأبيض و ٧٠ مليونين و ٣٠ مسيحي و ١٩ مسلم و ٥١ أديان أخرى و سوف يكون هناك ٦ أشخاص يملكون ٦٠٪ من الثروة و ٧٠ شخص يعيشون تحت خط الفقر و ٦٥ شخص لا يعرفون القراءة و ٥٠ يموتون في مجاعات و ٦٠ شخص لم يجروا في حياتهم مكالمة هاتفية و ١ فقط لديه حاسب آلى و ١ فقط لديه شهادة جامعية. أى بالرغم من وجود ما يزيد على (٨٠٠٠) جامعة، و(٧٠٠٠) معهد

للتعليم العالي فلا زال عدد من يملكون شهادات جامعية لا يزيد عن ١٪ من سكان العالم. أوضحت العولمة العديد من الأزمات ومنها أزمة في القيادة: من يقود من؟ حيث أن معظم ثروات العالم تتركز في أيادي قليلة تتحكم في إقتصاديات العالم وفي تكنولوجيا المعلومات وفي وسائل العولمة. وأزمة عدالة إجتماعية حيث يعيش أكثر من ١,٣ مليار شخص تحت خط الفقر لا يجدون أي تعليم. وأزمة إقتصادية حيث يعيش أكثر من ١,٥ مليار شخص بدون ماء نظيف. وأزمة روحية ودينية حيث ينتشر الفقر للدرجة التي تجعل بعض الفقراء يرون الله في قطعة الخبز التي يجدها وتجعل بعض الجهلاء يذهبون لما هو أبعد من ذلك حيث يحاولون التبشير وإقناع الجائعين بإعتناق أديان أخرى. وأزمة أخلاقية حيث يموت يومياً ٤٠٠٠٠ طفل من سوء التغذية في حين يعيش القلة في فساد مالي كبير. فماذا يستطيع التعليم أن يقدم لكل هؤلاء في عصر العولمة؟

العولمة والتعليم

وفي التعليم، غيرت العولمة من فلسفة ومحتواه وطرقه وتقنياته وطرق التقييم وغيرها من المحاور الهامة التي سيأتي ذكرها. في العقود السابقة كان للتعليم فلسفة خاصة به مبنية على الإمكانيات المتاحة وكان العامل المشترك في فلسفة التعليم في كل بلاد العالم هو تجهيز الطالب بأكبر قدر ممكن من المعلومات قبيل تخرجه. وكانت المشكلة الأساسية للكثير من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس هي الحصول على المعلومات فلم يكن هناك سوى الكتب والمراجع ولم يكن هناك أي وسيلة لنشر هذه المعلومات غير الطباعة ولم يكن الحصول على الكتب والمراجع للطلبة والمعلمين بالأمر اليسير فما يطبع في مكان لا يطبع في غيره ولا يوجد مكتبات عابرة للقارات وحتى ماكينات التصوير لم تعرف إلا في السنوات الأخيرة. ولقد كان أساتذتنا يذهبون للمكتبات العامة في بلادنا وفي البلاد الأجنبية لرؤية كتاب وكان يجلسون لينقلوا بأيديهم كتابةً محتوى الكتاب وكان عملهم شاق جداً.

وكما كانت فلسفة التعليم مبنية على كم المعلومات الذي يمكن جمعه بصعوبة كانت طرق التعليم تقليدية لا تخرج عن المحاضرات النظرية والجلسات العلمية الطويلة وكانت الأدوات المستخدمة في التعليم أدوات بدائية لم تتعدى الألواح والسبورة والطباشير والأوراق والأقلام إلا في العقود الأخيرة. ومن الجدير بالذكر وعلى النقيض وبالرغم من صعوبة كل شيء في التعليم كانت دافعية الشباب للتعلم والإستزادة والرفقي العلمي أكبر كثيراً مما نراه الآن فكان الشباب ينكبون على العلم لينهلوا منه ما يستطيعوا فلم يكن هناك وسائل الإغراء الحديثة التي أضافتها العولمة حديثاً والتي تضيع الكثير من الوقت وتجذب الشباب.

العولمة وفلسفة النوعية والمصادقية

تغيرت فلسفة التعليم وبدلاً من البحث عن الكم أصبحت فلسفة التعليم فلسفة النوعية والمصادقية. من السهل جداً توفير عدد لا نهائي من المراجع والأبحاث على جهاز حجه عدة سنتيمترات في جيب الطالب أو الباحث ولذلك إهتمت فلسفة التعليم الحديثة بنوعية المعلومات التي يلزم بها الطالب والتي تحتاج إليها أسواق العمل. وكما إهتمت فلسفة التعليم الحديث بالنوعية إهتمت بالمصادقية فالיום بإمكانك أن تحصل في لحظة واحدة على المعلومة وضدها وكثير المدعين والمختالين بإسم العلم واصبح من السهل تأليف الكتب والمقالات وإنتشر المعلمين من خلال الإنترنت دون أي خبرات حقيقية عملية وإحتل الحابل بالنابل ولذلك أصبح محور مصادقية المعلومة في منتهى الأهمية فالיום لمن تسلّم عقلك ومن تصدق ومن لا تصدق. لقد أصبحت المصادقية هي الشغل الشاغل للجامعات ولأصحاب مواقع الإنترنت وللمتصفح والدارس والباحث والجميع وأصبح من المهام جداً تعليم الطالب كيف يكشف عن مصادقية المعلومة.

العولمة والوصول للمعلومة

ومع الثورة المعلوماتية وتراكم نتائج البحث العلمي والخبرات عبر سنوات النهضة العلمية الحديثة تضخمت العلوم وأصبح من الصعب على أي إنسان مهما بلغت قدراته إدراك هذا الكم الهائل ولذلك أصبح من الهام جداً تعليم الطلاب كيفية الوصول للمعلومات الصحيحة من خلال إستخدام وسائل العولمة الحديثة مثل البحث بالشبكة الدولية للمعلومات من خلال محرركات البحث الإلكترونية ومن خلال المكتبات والكتب الإلكترونية ومن خلال الأقراص المدمجة وغيرها. ولذلك لم يعد هناك كتاباً جامعياً يجمع مادة علمية من كافة أطرفها بل هناك مادة علمية تجمع من أى مصادر موثوق بها بل ذهب بعض الجامعات الغربية لما هو أبعد من ذلك حيث تقوم هذه الجامعات بإعطاء الإمتحانات للطلبة من خلال مواقع الإنترنت وتستقبل الإجابات من خلال نفس المواقع في مدة زمنية محددة بغض النظر عن الطريقة التي يستخدمها الطالب في الإجابة أو الوصول للمعلومات الصحيحة.

العولمة ومستويات التعلم

كانت الجامعات تهتم كثيراً بمعرفة الطلاب للمعلومات المدرسة وتبين بعد ذلك أن هذا المستوى من التعليم هو المستوى الأول وأنه هناك العديد من المستويات الأخرى للتعلم ومنها إدراك المعلومات وإستخدام المعلومات ونقد المعلومات وتحويل المعلومات والإبداع وإستنتاج معلومات جديدة. فلا يكفي أن يعرف الطالب المعلومة ولا يكفي أن نقيس قدرته على حفظ المعلومات بل يجب أن يدرك الطالب المعلومة ويفهمها ويتعرف عليها في كافة صورها وأشكالها ويعي مصدر المعلومة وأسبابها وإستخداماتها وليس ذلك فقط بل يجب على الطالب أن يستخدم هذه المعلومة في واقع الحياة أو في المعمل أو المصنع حتى يكون هناك إنعكاس للعلم على مجالات الحياة المختلفة وفي شكل أكثر عمقاً للتعلم يجب على الطالب أن يمتلك القدرة على نقد المعلومة (critical mind) وبيان إيجابياتها وأوجه القصور بها وليس ذلك فقط بل يجب تشجيع الطالب على تطوير قدرته على تحليل المعلومات وتحويلها وعلى إستنتاج معلومات جديدة ولكن لا بد من أن يغلف كل هذه القدرات الإطار العلمي للإبداع والتجديد وليس الفوضى والعشوائية.

العولمة ومحتوى العلوم

يتضح مما سبق أن المحتوى الدراسي اختلف كثيراً وتغير عبر السنوات فإزدادت أهمية بعض العلوم ونقصت أهمية البعض وعلى سبيل المثال إزدادت أهمية تعلم اللغات الأجنبية حيث أن العولمة تتكلم بعدة لغات وهي لغات الدول المصدرة للعلوم والتكنولوجيا وعلى رأس هذه اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وعن قريب ستكون اللغة الصينية والهندية من لغات العولمة. فأين نحن من هذه اللغات وأين أبنائنا وطلابنا منها.

كما إزدادت أيضاً أهمية تدريس الحاسبات الآلية والشبكات والبرمجيات حيث أنها الوسائل الهامة للعولمة وللحصول على المعلومات ومواكبة سرعة العلم ولا يمكن تطبيق فلسفة التعليم الحديث بدونها.

ومن العلوم الهامة التي إزدادت أهميتها العلوم الإنسانية ومنها علم النفس بفروعه المختلفة فالיום سوق العمل يطلب المتخرج ذو القدرات الشخصية الفائقة (مهارة التعامل مع الشخصيات المختلفة وحسن تقدير الأمور ومهارات العرض والإقناع وغيرها من مواد علم النفس الحديث). وإزدادت أيضاً أهمية تعلم علوم الإدارة والجودة الشاملة والإحصاء والتسويق

وغيرها من العلوم الهامة. ومن الجدير بالذكر أن الجامعات الغربية الحديثة تدرس هذه المواد الهامة للطلاب الجدد بكل تخصصاتهم العلمية والأدبية في السنوات الأولى للدراسة وبعد تخطى الطلاب لهذه المرحلة الهامة يدرس لهم التخصص الدقيق. وقد وضعت العولمة بعض العلوم الأدبية والنظرية في موقع حرج حيث أن العديد من المناهج المدرسة ببعض التخصصات مناهج عقيمة لا فائدة منها ويجب على المسؤولين عن هذه التخصصات إعادة النظر في محتوى ما يدرس وفي طرق التدريس وفي ربط المادة العلمية المدرسة بواقع الحياة وبأسواق العمل حتى لا نفاجأ بالآلاف وملايين من الخريجين غير مؤهلين لأسواق العمل.

العولمة وطرق التعليم

لم تعد المحاضرات هي الطريقة الوحيدة للتعليم الجامعي الحديث فهناك العديد من الطرق الأخرى التي إزدادت أهميتها مع اختلاف فلسفة التعليم وأهدافه ومنها ورش العمل التي تتيح للطلاب التعبير عن مدى إدراكهم وفهمهم للعلوم ومنها المجموعات المصغرة للتدريس والمشاركة الفعالة للطلاب من خلال تقديمهم للدروس بأنفسهم أمام زملائهم وبحضور أساتذتهم ومنها المعامل والورش الحديثة والمشاريع التي يقوم الطلبة بعملها بمجموعات وفرادى وجلسات العصف الذهني على مواضيع محددة. بالإضافة إلى عرض الحالات والمشاريع والمؤتمرات المشتركة بين الجامعات عن طريق الأقمار الصناعية وعروض الفيديو والأفراص المدججة وجلسات لقاء الخبير وجلسات المائدة المستديرة وغيرها من أشكال الجلسات العلمية. ويجب أن يمثل الجزء العملي والتطبيقي من أى علم مهما كان نسبته أكبر من الجزء النظري. وتتيح هذه الطرق للطلاب صعود مستويات التعلم تدريجياً إلى أعلى مستوياتها وهي الاستنتاج الصحيح والإبداع وتكوين معلومات جديدة.

العولمة وأدوات التعليم

لا يمكن تطبيق فلسفة التعليم الحديث إلا باستخدام الوسائل الحديثة فيجب إدخال الحاسبات الآلية في قاعات المحاضرات لكل الطلبة ويجب استخدام التقنيات الحديثة التي تمكن الطلبة من الإدلاء بآرائهم واختياراتهم أثناء المحاضرات (automatic response system) ويجب إتاحة استخدام الإنترنت لجميع الطلبة ويجب على كل جامعة كبيرة أن يكون لها قنوات فضائية تبث من خلالها علومها وأن يكون لكل قسم موقع إلكتروني على الشبكة الدولية للمعلومات ومكتبة إلكترونية وأن يتواصل مع طلابه طوال الوقت من خلال هذه المواقع.

كما يجب أن يكون هناك نوع من التواصل الشخصي بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب فلا يمكن اكتشاف النبغات والمبدعين إلا من خلال هذا التواصل فالعديد من الجامعات الغربية تضع ساعة أسبوعياً مقابلة شخصية بين الأستاذ وتلميذه داخل الحرم الجامعي ليتحدثوا بها في مختلف أمور الحياة.

العولمة وتقييم الطلاب

إذا اختلفت سياسة وفلسفة التعليم فلا بد أن يختلف طريقة التقييم التي تتبع مع الطلاب فلم يعد الأنسب أن يختبر الطلاب مرة أو مرتين سنوياً اختبارات نظرية محدودة القدرة والصلاحية فلا بد من ابتداع طرق تقييمية أكثر دقة وأكثر قياساً للجانب العملي والتطبيقي. العديد من التخصصات تعتمد على الأسئلة متعددة الإجابات كوسيلة تقييمية وهي وسيلة عقيمة لا تقيس سوى القدرة على التعرف على المعلومة وإن وضعت بشكل جيد قد تقيم بعض العوامل الأخرى ولكن في العديد من

الأحيان تؤخذ الاسئلة كما هي من الكتب ويكون بها تكرار وعدم وضوح وأخطاء علمية وإجابات مختلف عليها وبالتالي فهي لا تصلح أن تكون وسيلة وحيدة للقياس والتقييم. إن واقع الحياة العملية لا يعرض على المختص في صورة إجابات متعددة ليختار منها الصحيح وبالتالي يجب إضافة تقنيات اختبارية أخرى مثل التقييم الطولي للطالب طوال العام الدراسي وملاحظة أداء الطالب العلمي من خلال مشاكل عملية تعرض عليه ومشاريع يقوم بتنفيذها وبعض الاسئلة النظرية القصيرة التي تقيس قدرة الطالب على تذكر المعلومات وسردها وهي محور هام جداً وخاصةً للعمل في مجال التدريب والأبحاث بعد ذلك وغيرها من الوسائل الحديثة للتقييم.

العولمة والتعلم عن بعد

لقد أفرزت العولمة نوعاً جديداً من التعلم وهو التعلم عن بعد من خلال المواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية وأخذت مسميات كثيرة منها التعليم المفتوح والتعليم الإلكتروني. إن هذا النوع من التعلم له العديد من الإيجابيات فهو تعليم عابر للحدود ودون مشقة السفر أو الحركة من أمام الحاسب الآلي وهو منخفض التكلفة الاقتصادية ويتيح الإحتكاك بخبرات خارجية قد يصعب السفر لبلادها لأخذ العلم مباشرةً منها. وله أيضاً العديد من السلبيات فكثيراً ما يفتقد للمصداقية وللجانب العملي والتطبيقي وكثيراً ما يقصد منه التريح دون الاهتمام بجودة المنتج التعليمي.

العولمة والبنية التحتية للجامعات

ومع تطور العولمة وسهولة الاتصال والحركة ستسهل حركة العلماء والمفكرين والمبدعين من أساتذة الجامعات أكثر من ذي قبل وإن لم يواكب هذه العولمة التغيرات الإدارية والمالية اللازمة ستصبح جامعاتنا طاردة للكفاءات وخاصةً أن الجامعات الغربية بأمريكا وأوروبا مستقطبة للكفاءات فيجب على نظامنا التخلص من البيروقراطية ومنح العلماء الحرية العلمية والموارد اللازمة لتحقيق إبداعاتهم وطموحاتهم. لا بد من إعداد الجامعات لاستقبال كل من يرغب في التعليم ولا يعقل أن يكون هناك المتخرج الطموح ونزكه يلهث خلف بيروقراطية القبول بأي برنامج دراسات عليا فلا بد من زيادة عدد الأساتذة وعدد برامج الدراسات العليا وإلا سيستمر هروب الطلبة المتحمسين للخارج إلى الأبد منضمين لقافلة الطيور العربية المهاجرة أو سيحزقون وظيفياً في أعمالهم نتيجة لعدم تأهيلهم وعدم تنمية قدراتهم من خلال برامج متخصصة. فلا بد من استيعاب هؤلاء الطلبة ودعمهم وتهذيب طموحاتهم العلمية بما يتواءم مع احتياجات مجتمعاتنا من تخصصات.

العولمة والجودة الشاملة

ومع انتشار العولمة انتشرت ثقافة الجودة الشاملة حيث تهتم الجامعات برفع كفاءة المنتج التعليمي بكل الوسائل وتهتم بالتصنيفات العالمية للجامعات وتحاول الجامعات جاهدة أن تحسن من تصنيفها من خلال الاهتمام بالجودة الشاملة للتعليم. وما لا شك فيه أنه عبر السنوات سيكون هناك تنافس كبير بين الجامعات وبعضها على استقطاب الطلاب كما هو الحال بالجامعات الغربية وسيلجأ الطلاب إلى الجامعات الأفضل تصنيفاً حيث أنها تتضمن لهم فرص العمل بالمؤسسات الكبيرة والشهيرة. ولكن هناك العديد من المعوقات أمام النجاح في تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في الجامعات العربية ومنها: محدودية التمويل وقلة عدد الجامعات بشكل يضر بالتنافس وعدم تناسب حجم الطلاب المقبولين مع إمكانات الكليات وانقطاع الصلة بين الكليات والخريجين في مواقع العمل لمعرفة آرائهم في برامج الدراسة وعدم التنسيق مع مؤسسات العمل لتحديد مواصفات

الخريج وغياب التطوير المستمر لبرامج الدراسة حسب المتطلبات ونقص المرافق والامكانيات التي تساعد على الأداء الجيد في البحث والتدريس وتأثير التكتلات في تسيير الأمور (أهل الثقة وليس أهل الكفاءة) وعدم تقييم الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس والانخفاض الملحوظ في مستوى التزام بعض أعضاء هيئة التدريس وعدم ملاءمة طرق التدريس المتبعة للمواصفات المطلوب تميمتها لدى الخريجين. وبالرغم من اتباع سياسات الجودة بالعديد من الجامعات العربية لا زالت كل الجامعات العربية في مواقع بعيدة داخل التصنيفات العالمية وذلك لأسباب عديدة منها أن بعض الجامعات تكتفي بتطبيق أسس الجودة من حيث شكل الخدمات المقدمة ولا تقوم بقياس المضمون والنتائج.

العولمة وانتماء المؤسسات التعليمية

ومن تأثيرات العولمة الضغوط الاقتصادية الهائلة على الحكومات والتي جعلت العديد من منها يطرح الكثير من منشآت الدولة والبنية التحتية لها للخصخصة ومنها المنشآت الصحية والبنوك والمصانع والمنشآت التعليمية. وهذا سيجعل القطاع الخاص ورجال الأعمال يفرضون قوتهم وتحكمهم في هذه القطاعات ويضعف من سيطرة الدول عليها. ونتيجة لخفض الإنفاق الحكومي على التعليم في بعض البلاد العربية تحول التعليم من كونه سلعة عامة أي خدمة عامة إلى خدمة عن طريق السوق تحكمها قوى العرض والطلب وأصبح مستقبل ووضع الجامعات مهدداً وغير مضمون. كما أدى ذلك إلى وجود جامعات أجنبية عالمية مما زاد من حدة المنافسة للجامعات الوطنية والتفوق عليها. كما أدى ذلك أيضاً إلى قيام القطاع الخاص بالاستثمار في التعليم العالي ودخوله كمنافس للقطاع العام وعلى أسس تجارية ربحية بالإضافة إلى عدم ضمان جودة التعليم المقدم من الجامعات الخاصة والأجنبية. وهنا يطرح سؤال هل وضع التعليم في يد القطاع الخاص ورجال الأعمال والجامعات الأجنبية سيفيد التعليم وسيتمكن من تحقيق فلسفة الحديثة وأهدافه أم أنه سيكون عائق قوي في سبيل تحقيق ذلك وسيطغى على المسؤولين النزعة الربحية؟ ولذلك يجب أن يكون هناك سياسات عامة وخطة عامة توضع من الدولة وتقوم الدولة بالإشراف والرقابة المباشرة على المؤسسات التعليمية الأجنبية والخاصة.

العولمة وتحالف الجامعات

وكما حدثت التحالفات في المجالات الاقتصادية بدأت فكرة التحالفات بين الجامعات من أجل الصمود أمام التحديات المالية ومن أجل البقاء فاتجهت نحو الاندماج والتحالفات بين الجامعات الجديدة والقائمة بدلاً من التنافس ضد بعضها من أجل زيادة قدراتها التنافسية. وهكذا ظهرت التحالفات عبر الحدود، فهناك أكثر من (١٧٢) تجمعاً لجامعات عالمية، ولم يعد التعاون العالمي بين الجامعات خياراً بل أصبح ضرورة للتطور في السوق العالمي. وهناك أمثلة لهذه التحالفات: مثل تحالف جامعة بكين وجامعة سيول الوطنية وجامعة طوكيو.

العولمة ومجانبة التعليم

مع العولمة لم يعد هناك ما يسمى بمجانبة التعليم بل هناك منتج تعليمي إذا أردنا له الجودة والكفاءة وأردنا أن يكون منافساً لما يقدم بالجامعات الدولية بأمریکا وأوروبا فلا بد له من تكلفة عالية ولذلك يجب البحث عن مصادر لتمويل هذه التكلفة ولن تستطيع معظم الدول والحكومات أن تتحمل هذه التكلفة لكل الطلبة كل الوقت وبالتالي فلا بد من سياسة حكيمة وعادلة تضمن رعاية الكفاءات والمتميزين من غير القادرين وتضمن للدولة ترشيد الإنفاق الحكومي.

العولمة والتهميش

وفي نظرة أكثر عمقاً للعولمة نرى أن عولمة البعض يقابلها تهميش للبعض الآخر. فعندما يتخذ البعض كل وسائل العولمة فسيتقدم كثيراً عن الآخرين وسيكون هناك فارق ثقافي و اقتصادي أكبر وسيؤدي ذلك بكل تأكيد إلى تهميش الفئة التي لم تتخذ من وسائل العولمة ما يحميها وعلى سبيل المثال فإن من يجيد اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي ففرصة عمله كبيرة وفي أرفع الأماكن والوظائف ومن لا يجيدهما فإنه لا فرصة له في العمل وسيهمش مع السنوات وسيكون بينه وبين الشخص الآخر هوة زمنية وعلمية واقتصادية كبيرة. وبالتالي فالعولمة كما أنها ستزفع بعض الناس ستخفف من البعض الآخر وستزداد الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وسيكون هناك عدم توازن في المجتمعات حيث ستقل الطبقة المتوسطة وتزداد كلاً من الطبقتين الأعلى والأدنى. ولذلك يجب على الجامعات والمسؤولين عن الدول وضع خطة محكمة للتعامل مع هذا الأمر حيث يجب أن يأخذ الجميع بوسائل العولمة ويجب أن تركز المؤسسات التعليمية على ذلك.

الخلاصة و التوصيات

إن للعولمة انعكاسات على التعليم العالي فالعولمة الاقتصادية تدفع بمؤسسات التعليم العالي نحو توجهات جديدة مثل الأعمال من حيث رفع الكفاءة والإنتاجية، وأن التغيرات الهيكلية في الاقتصاد العالمي تستدعي إعادة هيكلة وإصلاح إستراتيجيات التعليم العالي، ونستطيع أن نلخص بعض هذه الإصلاحات في النقاط التالية:

- إعادة النظر في نوعية المعلومات المقدمة للطلبة في التخصصات المختلفة وتطوير المناهج وربطها بواقع الحياة واحتياجات أسواق العمل.
- الاهتمام بتدريس الطلبة التقييم النقدي للمعلومات (critical appraisal) وكيفية الكشف عن مصداقية المصادر.
- الاهتمام بتدريس الطلبة الوسائل المختلفة للوصول للمعلومات الصحيحة والأخذ بوسائل العولمة الحديثة.
- الارتقاء بالمستوى التعليمي للطلبة من مستوى معرفة المعلومات إلى المستويات الأخرى للتعليم.
- الاهتمام بتدريس المواد الحديثة التي زادت العولمة من أهميتها مثل اللغات والحاسبات الآلية والبرمجيات والجودة الشاملة والتسويق وعلم النفس والإحصاء وعلوم الإدارة وغيرها.
- زيادة الساعات المخصصة للجانب العملي و التطبيقي في كل العلوم.
- التنوع في طرق التدريس وعدم الاكتفاء بالشكل التقليدي في صورة المحاضرات والتوسع في استخدام الحاسبات الآلية والبرمجيات والإنترنت في قاعات التدريس.
- استخدام تقنيات مختلفة ومتعددة في تقييم الطلاب طولياً طوال العام الدراسي.
- زيادة حجم التواصل بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة داخل الحرم الجامعي لاكتشاف التميزين والنبغات ورعايتهم.
- دعم البنية التحتية للجامعات من خلال إنشاء المباني وقاعات التدريس الحديثة وتجهيزها بكل وسائل تكنولوجيا المعلومات.
- حث الأقسام والتخصصات المختلفة على عمل مواقع متخصصة على الشبكة الدولية للمعلومات والتواصل العلمي مع الطلبة من خلال هذه المواقع.
- التخطيط لعمل قنوات فضائية متخصصة في مختلف التخصصات العلمية.

- زيادة أعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات لإستيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب دون التأثير على جودة المنتج التعليمي.
- التوسع في برامج الدراسات العليا في التخصصات التي تحتاجها أسواق العمل.
- عمل تحالفات علمية قوية مع الجامعات الدولية المميزة.
- إصلاح الهيكل الإداري و المالي للجامعات ولأعضاء هيئة التدريس.
- إعتتماد ميزانيات مناسبة للبحث العلمي بالجامعات.
- وضع سياسات محكمة للتعامل مع مؤسسات القطاع الخاص العاملة في مجال التعليم العالي وزيادة الدور الإشرافي عليها.
- التوسع في تطبيق سياسات الجودة في ما يخص محتوى الخدمات المقدمة و نتائجها.
- الأخذ بوسائل العولمة في التعليم الجامعي والتعليم ما قبل الجامعي حتى لا يحدث التهميش المشار إليه.
- البحث عن مصادر مناسبة لتمويل تكلفة المنتج التعليمي وخاصة للطلبة المتميزين وغير القادرين.

الخاتمة

إن التعليم لقادر على التعامل مع كل الأزمات التي أفرزتها العولمة فهو قادر على وضع بلادنا الحبيبة على خريطة القيادة الاقتصادية العالمية وهو قادر رفع مستوى المعيشة وإبعاد الناس عن خط الفقر وقادر على رفع المستوى الاقتصادي للناس من خلال ثقلهم بالمهارات والمعلومات التي تتطلبها أسواق العمل وقادر على التعامل مع التطرف الفكري و الديني والأخلاقي. إن العولمة ماضية في طريقها تغير من كل شيء في العالم و إن لم نواكب هذا التغير في جامعاتنا فسوف تتسلسل إلى أبنائنا وعلمائنا جهات كثيرة لا نعلم نواياها وتجذبهم للدراسة أو التدريس بعيداً عنا وعن خططنا المستقبلية واحتياجات بلادنا وأسواق العمل لدينا وأولوياتنا الثقافية والإسلامية. إننا لا نستطيع أن نوقف العولمة وبالتالي لا يوجد أماننا إلا مواكبتها وتغيير سياساتنا التعليمية مع الحفاظ على ثقافتنا ومبادئنا وتقاليدنا التي توارثناها عبر القرون وهي مهددة اليوم عبر العولمة الغربية.

المراجع

- Adams and Vidali, 2006: The challenges of globalization: changes in education policy and practice in the Greek context, Childhood Education magazine, 42 pp 132-127.
- Okasha A., 2005: Globalization and mental health: a WPA perspective, world Psychiatry journal, February; 4(1): 1-2.
- Alkhamis, 2007: globalization and higher education synergistic bond not antagonistic, economic electronic magazine 2/6/1428 H
- Ben-David, D., 2000: Trade, growth and disparity among nation. In: WTO ., editor. Income Disparity and Poverty, World Trade Organization Special Study 5. Geneva, WTO publications.
- Derrick L. Cogburn 2006: globalization, knowledge, education and training in the information age, Global Information Infrastructure Commission, South Africa.
- Dollar, D. and Kraay, A.,2001: Growth is good for the poor. Washington, DC, World Bank.

-
- Frankel, JA. and Romer, D., 1999: Does trade cause growth? American Economic Review. pp. 379–399.
 - Greg Martin, 2005 : Globalization and Health Global Health., Published online, global health magazine, licensee BioMed Central Ltd., pp 1186-1744.
 - Huynen et al, 2005: The health impacts of globalization: a conceptual framework, Published online, global health magazine, licensee BioMed Central Ltd, pp 1186-1744.
 - Recommendations from meeting of the Arab Ministers of higher education in Zaid University UAE, 7th November 2007: published in El-Etehad Magazine 11812.
 - Singer, P., 2002: One world. New Haven, Yale University Press.